• الاغنية الشعبية وأغنية الشعب / محمد بوتالي

ترجمة : مـارزوق

نعني بالاغنية الشعبية الايقاع والنغم المصحوب بكلمات يغنيها الشعب ويرثها شفويا جيل عن جيل . انها تعبير اجتماعي طبيعي لشعب معين . ان كون الاغنية الشعبيـة مجهـول صاحبها لا يعني ان الشعب كله هو الذي انتجها ، والسبب في ذلك يرجع الى ان الشعب لم يحتفظ باسم المؤلف (او الملحن) ، وان نفس الاغنية ، نتيجة استمراريتها شفويا ، تخضع لتغييرات مع الزمن تفقد فيها الصبغة الفردية وتتحول تدريجيا الى انتاج جماعي .

وبالرغم من انه لا يمكن لاي فنان ، في الظروف الراهنة ، أن يبقى مجهولا ، فهناك امكانيات كبيرة لان يتحول انتاجه الى اغنية شعبية ، وذلك اذا تمكن هذا الفنان من التعبير عن عواطف واحساسات الشعب من خلال اغنيته ، وحينذاك نقول بان هذه الاغنية شعبية ، لان الشعب يحدد فيهـا هويتـه .

في الظروف الراهنة غالبا ما يخلط الناس بين « الاغنية الشعبية » و « الاغنية التجارية » (التي يسمونها ايضا شعبية) . الاغنية التجارية يمكن ان تكون معروفة من طرف مجمل الشعب لكنها بالرغم من ذلك ليست لها اية علاقة مع العواطف الحقيقية للشعب . ان شعبية هذه الاغنية جاءت نتيجة دور وسائل الاعلام والدعاية التي تقوم بها دور انتاج الاسطوانات والشركات التي تتاجر بالفن من أجل الحصول على الارباح . لذلك ، وحتى لا تختلط المفاهيم ، فضلت أن اسمي الاغنية الشعبية « اغنية الشعب » وحتى نميزها عن الاغنية التجارية التي يسمونها ايضا ، وكما سبق ان قلت ، اغنية شعبية .

خلافا لاغنية الشعب فان الاغنية التجارية تدور حول موضوع واحد وتكرره حتى الغثيان : الحب الانساني المنعزل والمستلب (المستلب بكسر اللام) . اما اغنية الشعب فانها تتناول عدة مواضيع : العمل ، التضحية ، الافراح ، الناس ، الارض ، الخ ... ولهذا السبب غالبا ما يلتجيء المثقفون التقدميون الى اغنية الشعب من أجل بث الوعي الطبقي لدى الناس . وهكذا نرى كيف ان موسيقى واغنية الشعب تتحول الى صرخة من أجل العدالة والحرية . هناك كثير من المثقفين يعتقدون أن تبليغ الافكار لا ينحصر فقط على المناشير والخطب . الفن والادب والموسيقى يفيدون ايضا من أجل بلوغ هذه الاهداف . ان الاعتقاد بأن « الفن سلاح قوي » ليس بجديد ، يكفي أن نتصفح كتب التاريخ لنتأكد من ذلك . الموسيقى والادب كانا دائما في طليعة الفن عند استعماله من أجل بث الوعي الاجتماعي والسياسي لدى الفئة التي ما تزال غير واعية . لقد اولت الدول الغربية اهتماما كبيرا لدور الموسيقى والشعر في بلـوغ الاهـداف الاجتماعية والسياسية ، ففي الثورات الكبرى التي حدثت في اروبا وامريكا لعب الشعر والموسيقى دورا حاسما في التحول الثوري .

حاليا ، تعتبر « الاغنية الاجتماعية » في بلدان امريكا اللاتينية و « فولك صونك » في امريكا الشمالية في طليعة الحركة الموسيقية التي ترمي الى الاحتجاج والنقد الاجتماعي . والكل يعلم ، على سبيل المثال فقط ، اهمية كل من فيكتور خارا **Jara** ودانييل فيكلييتي **Dan'el Viglietti** و اتاوالبا يوبانكـي **Yapangyi** و وودي كـاثـري **Woody Gathriy** وفيل اوشس **Philochs** ، الخ ... كذلك نعتقد انه من المهم بمكان ان نذكر هنا ببعض الاسماء لمغنيين اوروبيين ناضلوا من خلال اغانيهم من أجل العدالة والحرية ، وفي طليعة هؤلاء ميكيس تيودوراكيس ، مانويل خيرينا **Manuel Gerena** وباكو يبانييث **Paco Ibanez** . يقول باكو يبانييث في اغنيته « الشعر سلاح مشحون بالمستقبل » (وهي قصيدة للشاعر الاسباني غابرييل ثيلايا **Gabriel Celaya**

ملعونـة هـي القصيـدة
التـي يراهـا المحايـدون
كـزينـة ثقـافيـة
فيغسلـون الايـادي
ويهـربـون .

ملعونة هي القصيدة
التي ينظمها شاعر بدون مواقف
مواقف حتى النهاية .

من المسائل الرئيسية في كل تظاهرة ثقافية يأتي المشكل الاستيتيكي (او الجمالي) ، كثير من النقاد يتساءلون دوما عن مدى جمالية اغنية اجتماعية ملتزمة تتحدث عن الاستغلال والظلم ، كذلك من الناحية الشكلية ، يتساءلون عن مدى دقة البناء الموسيقي والشعري لاغنية ترمي الى النفع الاجتماعي . جوابنا على هؤلاء هو ان اغنية الشعب تفقد جمالها اذا نسينا العلاقة الكائنة بين الجمال والاخلاق ، لكن هذه المسالة الفلسفية ستجرنا الى نقاش لسنا بصدده الآن . وكل ما يمكن ان نقوله في هذا المقال المقتضب هو ان الفن والموسيقى لا يمكن لهما ان يبتعدا عن الواقع الاجتماعي . فاذا كان مجتمعنا يتكون من عدة طبقات فانه من الطبيعي ان يكون الانتاج الفني تابعا لهذه الطبقة او لتلك . ولهذا يمكن ان نقول بان الفن والموسيقى لهما صبغة طبقية وبالتالي فانهما ينتميان الى سياسة معينة . ومن جهة أخرى فان الاطروحة القائلة بان الموسيقى محايدة لكونها مجرد اصوات وايقاعات باطلة بالاساس ، لان الالهام والميل والابداع في ميدان الموسيقى يرتبط دائما بحياة المؤلف . وهذا يعني ان الالهام الموسيقي لا ينزل من السماء ولكنه يأتي نتيجة تأثر المؤلف (الملحن) من قصيدة شعرية او جمال اوزر او عظمة نهر ، وان الدافع يمكن أن يكون فقر فلاح او موت صديق او قمعا اجتماعيا .

اما قضية مصر فتكاد تكون مختلفة تماما ، اذ انها بالرغم من كونها في طليعة الدول الاسلامية من حيث الاعتناء بالموسيقى وتطويرها ، فانها لم تنتج من الاغنية التجارية الى ان ظهر رجال يعتبرون بحق مغني ولسان حال الشعب المصري كامثال الشيخ امام ، ففي الشيخ امام نجد أحسن تعبير عما هي اغنية الشعب ، ذات المحتوى الاجتماعي الملتزم .

استنادا الى اللهجة العامية للفلاح المصري والى آلات موسيقية بسيطة ، تمكن الشيخ امام والشاعر احمد فؤاد نجم من اعادة الاعتبار الى اغنية الشعب المصري .

اعتقد أخيرا انه من الضروري ان اتعرض هنا الى بعض الملامح حول المشكل اللغوي فيما يتعلق باغنية الشعب . فاذا كانت اغنية الشعب هي تلك الاغنية التقليدية ذات المضمون الاجتماعي والنقدي ، فمن الطبيعي ان نقول بان اللغة تمثل جانبا مهما فيها ، لانها ، اي اللغة ، توجد ضمن تلك التقاليد سواء اردنا ذلك ام لم نرد . واذا كان المقصود هو تبليغ افكار وتجارب من خلال الاغنية ، فانه من المهم ان تكون اللغة المستعملة في الاغنية مفهومة من طرف كل الشعب .

وحتى لا اطيل في هذا النقاش اريد ان اختم واقول بان اغنية الشعب ، من غير ان تكون محافظة ، تعتمد على الموسيقى التقليدية لبلد ما حيث يعبر من خلالها الشعب عن تجاربه ورغباته . ان أية اغنية شعب تستلهم جذورها من الرصيد الثقافي لذلك الشعب دون ان يعني هذا ان اغنية الشعب تنفي الابداع .

ان اغنية الشعب يمكن ان تكون سلاحا كبيرا في عملية التوعية وتبليغ الشعب الافكار الهامة التي تحتوي عليها ثقافته ولغته .

في البلدان الشرقية ، وبصورة خاصة البلدان الاسلامية ، كانت الموسيقى واغاني الشعب دائما وسيلة للتسلية والهروب من الواقع . المثقفون في هذه البلدان لم يتمكنوا من ادراك الدور الذي يمكن ان تلعبه هذه الموسيقى في تعبئة وتوعية الجماهير . واذا كنا نشهد اخيرا ظهور تحولات لدى بعض المغنين والفرق الذين يتجهون نحو نوع من الموسيقى أكثر اجتماعية ، فهذا لا يعني ان الاغنية ذات المستوى الاجتماعي ، اي اغنية الشعب ، اخذت تضايق الاغنية الرسمية التي ما تزال قوية في هذه البلدان .

ان الحركة الموسيقية التي ظهرت في المغرب ابتداء من 1971 ، وعلى راسها ناس الغيوان ، تمكنت من احداث تغيير عام في ميدان الموسيقى الشعبية المغربية ، ونتيجة للوضعية الاجتماعية والسياسية التي كان يعيشها المغرب آنذاك ، تمكن ناس الغيوان من ان يكسبوا جمهورا مهما معظمه من الشباب ، هذا الشباب الذي اخذ يستجيب لنداءات ناس الغيوان اليائسة ، اقول يائسة لانهم يطرحون المشاكل في اغانيهم ولا يشيرون الى الحلول ابدا . ان ناس الغيوان انساقوا وراء التيار الرومانسي معتقدين ان الايام الماضية احسن من الحالية ، وبالرغم من انهم لا يعربون عن ذلك بصراحة فان صرخاتهم تحتوي على نوع من الاستسلام

للقدر . ان التشاؤم هو احدى مميزات ناس الغيوان ، والسبب في ذلك يرجع الى كونهم قد اعتمدوا في اغانيهم على الموسيقى الدينية التقليدية والشعر الصوفي لشعراء هائمين مثل عبد الرحمان المجذوب . النقد الذي يوجهه ناس الغيوان ليس بنقد ثوري ، وقد لا اخطيء ان قلت بانه محافظ . ان رغبتهم في توسيع دائرة جمهورهم دفعتهم في الاعوام الاخيرة الى ترويج موسيقاهم على المستوى التجاري .

لكن مهما يكن الامر فان دور ناس الغيوان كان ايجابيا بحيث تمكنوا من احياء الموسيقى التقليدية المغربية وازاحة الطابع الديني والصوفي عنها ، لكنهم لم يتخلصوا من الطابع المحافظ لكل ظاهرة دينية .

المؤتمر السادس لاتحاد كتاب المغرب ، 13 ـ 14 يناير 1979 ، الرباط

كان المؤتمر السادس لاتحاد كتاب المغرب ، الذي انعقد ما بين 13 و 14 يناير 1979 ، فرصة أخرى لتلاقي أكثر العناصر ارتباطا بالاتحاد ، وبالدور الذي من الضروري أن تلعبه هذه الجمعية الوطنية في توطيد العلاقة بين الكتاب المغاربة ، ودفعهم جماعيا ، بمختلف قناعاتهم الفنية والفكرية ، نحو المزيد من ترسيخ ممارسة ثقافية ديمقراطية ذات توجه تحرري ، ضمن الفعاليات الثقافية ببقية الاقطار العربية الاخرى ، وكل الشعوب التي تعمل عن أجل نفس هذا الهدف .

لم يسقط المؤتمر في الغوغاء الذي سقطت فيه بعض المؤتمرات السابقة للاتحاد (وخاصة المؤتمر الرابع) ، وهذا ما ساد مناقشة التقرير الادبي ، وأعمال اللجان ، ويمكن لمس طابع الجدية والوعي والانضباط والحوار الديمقراطي ، من خلال محاضر الجلسات ، أو من المقررات التي صادق عليها المؤتمرون .

ان الاتحاد يخرج لاول مرة في تاريخ مؤتمراته ببرنامج ثقافي وطني ديمقراطي، يضمن للاتحاد خطة عمل واضحة في المرحلة الراهنة ، حيث تقررت اقامة عدة مناظرات ، وفي طليعتها ، مناظرة عن « الحركة الوطنية والعمل الثقافي » ، ثم « الثقافة الشعبية » ، الى جانب مناظرة لها فرادتها ، وهي المتمثلة في جمع طليعة الروائيين والنقاد العرب لتدارس قضايا الكتابة الروائية .

أما مسألة مراجعة لوائح أعضاء الاتحاد فقد حسم فيها هذه المرة ، لا بالملتمسات فقط ، ولكن على مستوى القانون الاساسي للاتحاد ، فأسند بذلك أمرها الى المكتب المركزي ، وتأسست لجنة التحكيم التي مهمتها الفصل النهائي في هذه المعضلة التي كثيرا ما شكلت عائقا ملموسا في تطور الاتحاد . في نفس الوقت تحددت ، بصيغة واضحة ، نوعية الكتاب الذين لهم وحدهم حق الانتماء الى هذه الجمعية .

لن نتحدث ، في هذه الكلمة الموجزة ، عن كل القضايا التي تعرض لها البيان العام (سننشره في العدد القادم) . نسجل باعتزاز ، موقف الاتحاد من القضايا الوطنية والعربية ، سياسيا وثقافيا ، ومطالبته باطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ، وفي مقدمتهم أعضاء الاتحاد ، عبد اللطيف اللعبي ، عبد القادر الشاوي ، عبد الله زريقة .

وفي الاخير ترشح كل من محمد العامي ، محمد برادة ، أحمد السطاتي ،

مصطفى المسناوي ، ابراهيم الخطيب ، محمد بنطلحة ، محمد الاشعري ، محمد بنيس ، سالم كويندي . وتشكل المكتب المركزي الجديد للاتحاد من :

محمد برادة : رئيسا .
محمد بنيس : نائبا للرئيس .
محمد بنطلحة : كاتبا عاما .
أحمد السطاتي : نائبا للكاتب العام .
محمد الاشعري : أمينا للاتحاد .
مصطفى المسناوي : مكلفا بمجلة « آفاق » والنشر .
ابراهيم الخطيب : مكلفا بالنشاط الثقافي والمكتبة .

ان المؤتمر السادس لاتحاد كتاب المغرب خطوة ايجابية نحو المزيد من تعميق المسار المتقدم لبناء ثقافة وطنية ديمقراطية حقيقية .

• غيـاب عاشـق : محمـد السباعلـي

لا انطق باسمه ، ولا اتحدث عن غيابه ، اختار البحر كوكبا ، والصمت رفيقا ، التقى ذات يوم بالمعمدية فعشقها ، وعندما التقيت به أول مرة على مدرجات كلية الآداب بفاس صاحبت عشقه ، وتركت فاس .

منذ 72 وهو مهاجر ، البئر الجديد ، البيضاء . واعلم ان الرحيل الدائم صعب ، لذلك فرح بالسيارة ، وكأنه يشتري لعبة من لعب الاطفال التي لم يملكها في صباه .

بالمعمدية كان يزورني كل سبت . يسأل عن المجلة ومشاكلها . كثيرا ما قام بتصحيح بعض المواد ، وأعاد كتابة بعضها بخط جميل مقروء ، لا يتعب عامل المطبعة . ومع ذلك لم يفرض علي في يوم من الايام نشر نص من نصوصه الشعرية . مرة أتى محموما بنسيان المثقفين المعاصرين لشاعر احبه ، مصطفى المعداوي (صديقه في الموت !) . قلت اكتب ، فكان مقاله قريبا وبعدا .

اتذكره ، وهو على منصة رئاسة المؤتمر الرابع لاتحاد كتاب المغرب ، كان اصغر كاتب مغربي ينتمي للاتحاد ، وبجانبه اكبر الكتاب سنا ، الاستاذ ادريس الكتاني . لم يكن يعرف قواعد اللعبة في البداية ، وعندما راى وسمع ، قال انا معك .

فضل الصمت في آخر ايامه ، وكم اخبرته بضرورة الكتابة والنشر . له هدوؤه ومقهاه . وسيجارته ، واحدث ما يظهر من دواوين الشعر العربي المعاصر . وما يزال معي . لا اتحدث عن غيابه ، لانه لم يترك لي اتجاه طريقه . فهل سأترك له اتجاه طريقي يوما ما ؟

كان يهيئ نصا شعريا ينشر في « الثقافة الجديدة » هو اجمل ما كان يحلم به ، هو الآن نص صامت ، واجمل الشعر ما لم يكتب بعد .

محمـد بنيـس

• اعتقـال الشاعـر عبـد الله زريقـة

مرة أخرى يعتقل شاعر مغربي ، هل هذا غريب ؟ عبد الله زريقة يدخل المعتقل في الوقت الذي كثر فيه الحديث عن الديمقراطية ، وحرية التعبير التي لا يحدها سوى الخيال ! هل خافوا منه وهو لم يفتح بعد ؟ عرفناه بقصائده الجسورة على صفحات جريدة « العلم » ، وشعره الاشعث ، وغضبه المستمر . بعث اتحاد كتاب المغرب رسالة مفتوحة بشأنه الى وزارة العدل ، وتضامن معه الكتاب المغاربة الذين حضروا مؤتمرهم السادس ، طبعا هناك مثقفون آخرون ما زالوا معتقلين في مقدمتهم الشاعر عبد اللطيف اللعبي ، والناقد عبد القادر الشاوي . تكررت المطالبة باطلاق سراحهم جميعا في عدة مناسبات ، ولكن المعتقل هو المعتقل .